موسيقى

محمد عبد الوهاب

لم يكن عبد الوهاب مجرد ندّ في ميدان الفن؛ فبامتلاكه شركة «كايروفون» للإنتاج، بات مطلعاً على الأعمال قُبَيل نشرها، ويرى الواقع الفني بعين أكثر شمولية، كذلك صار يحدد سعر بيع أسطوانات الفنانين الآخرين، ليؤثر في السوق الفنية ومزاج جمهورها

عبد الوهاب في بورتريه لعصام عزوز (صفحة الفنان على فيسبوك)

الموسيقار في أغاني الآخرين

أنس مراد

«جايين الدنيا ما نعرف ليه/ ولا رايحين فين ولا عايزين إيه/ مشاوير مرسومه لخطاوينا/ نمشيها في غربة ليالنا/ يوم تفرحنا ويوم تجرحنا/ وإحنا ولا إحنا عارفين ليه/ وزي ما جينا جينا/ ومش بـ إدينا جينا»...

بقي عبد الوهاب وحيداً... وكانت هذه الأغنية الطويلة آخر آثار العصر الغنائي العربي المهول، وآخر انتصارات محمد عبد الوهاب. رحل عبد الحليم حافظ في عام 1977، ومن ثم رحل كاتب الكلمات مرسي جميل عزيز في عام 1980، قبل أن تبصر أغنية «من غير ليه» النور، في عام 1989، بعد إضافة الفرقة الموسيقية إلى تسجيل سابق بصوت عبد الوهاب. حققت الأغنية وقعاً كبيراً أمام الأغنية الحديثة، التي انتشرت في الساحة الفنية، والمدعومة بالبث الإذاعي والتلفزيوني، والمكرسة من خلال برنامج استديو الفن، الذي بدأ بثه في تلفزيون لبنان عام 1974. بعد عامين من انتشار الأغنية، وفي الرابع من شهر مايو/أيار عام 1991، رحل محمد عبد الوهاب، بعد حياة امتدت على طول القرن العشرين تقريباً، عاصر خلالها أساطير الزمن الجميل من موسيقيين، وأدباء، وممثلين صاغوا ملاذ شرودنا، إذ نُشيحُ النظر بعين من شجن.

مدعوماً من الشاعر أحمد شوقي، أقبل محمد عبد الوهاب على المشهد الفني. شوقي الذي تمثّلت به يد القدر، وامتدت لتمهد طريق الموهبة الفذة، وتشذب ذوق الفتى المقبل على الحياة، وتغرس فيه الروح العالية للفنان، الذي سيكون شاهداً على القرن العشرين، ومؤثراً في شخصية الغناء العربي، فقدّمته لمثقفي عصره من أدباء ورجال دولة، أمثال طه حسين وسعد زغلول وعباس محمود العقاد، وغيرهم ممن صنعوا تاريخ مصر. على مدى حياته الفنية، فاض عبد الوهاب بقائمة غنية من الأعمال، تنوعت من حيث المدارس والطرق، فمنها القصائد على نهج الرعيل القديم في نهايات القرن التاسع عشر، كقصيدة «أتيت فألفيتها ساهرة»، والقصائد التعبيرية التي استحدثها عبد الوهاب بما يتناسب والواقع المتسارع، نحو التجديد، مثل «الجندول»، ومنها الأغاني القصيرة، مثل «خايف أقول اللي في قلبي»، والمواويل المسبوكة والمُعدّة لتبقى صامدة عصية أمام الزمن، مثل موال «أمانة يا ليل»، وقدم أيضاً الأناشيد والأدوار والمونولوجات.

> نَحتَ عاطفة الجيل الجديد وحدد شكلاً للأغنية المتداولة

كان محمد عبد الوهاب من أكثر فناني عصره تنوعاً من ناحية الإنتاج الفني وغزارته، وأيضاً من ناحية وعيه للواقع واللعب على أوتاره، بما يمليه عليه استشرافه الذكي للمستقبل. أحب عبد الوهاب الحياة، وآمن بالغد القادم، وناضل لكي يبقى في برجه العاجي الذي أهداه إياه أحمد شوقي، خاصة أن الساحة الغنائية كانت مشغولة بأم كلثوم، صاحبة الصوت الجبار، ومن ورائها المخضرمون: زكريا أحمد بأسلوبه التطريبي الأصيل، ومحمد القصبجي المجدد الرومانسي، ورياض السنباطي الجزل الرصين صاحب المسلك الخاص. لم يكن أمام عبد الوهاب، بوجود ماكينة التلحين هذه من جهة، وجبروت صوت أم كلثوم من جهة أخرى، إلا أن يكتفي بذاته، فيكون هو الملحن والمغني، وأن يبقى يقظاً لكل جديد، يعتنقه إكسيراً للبقاء في القمة التي ما تعود سواها.

حملت المادة السينمائية من الجاذبية ما يرضي شغف عبد الوهاب بالظهور والانتشار، فوجد فيها ضالته التي قدم فيها أعماله وظهر فيها ممثلاً أيضاً، الأمر الذي كان صعباً على منافسته أم كلثوم، بعد أن أثبتت لها التجربة بُعدَها كل البُعد عن النجاح كممثلة، وبذلك استفرد عبد الوهاب في هذه المساحة، لكن ليس طويلاً، ففي الكواليس ما يخبئه القدر؛ ملحن ومغنّ ومجدد، لا بل وعازف عود قلّ مثيله؛ إنه فريد الأطرش، الذي عكس الشائع سيصبح الصديق اللدود لعبد الوهاب. أبدع عبد الوهاب في ابتكار الوسائل لكي يبقى حاضراً على ألسنة الناس، فمَن الذي يتبادر له أن يُدخِل الفرقة الموسيقية إلى قاعات السينما، لكي يؤدي أغانيه في عرض حيّ بأثناء استراحة الجمهور من مشاهدة أفلامه؟ طموح عبد الوهاب قاده ليصنع مساحاته الخاصّة غير المتوقعة، التي لا تلبث أن تصبح تقليداً ينتهجه الفنانون بعده.

أثّر ظهور الأسطوانات في بداية القرن الماضي بعقلية الفنان، إذ أشركت الموسيقى في التفاصيل اليومية المنزلية، وكثفت مع السينما من التأثير الشخصي للفنان على جمهوره، من حيث الشكل الخارجي، والمضمون الصوتي أيضاً. اعتاد عبد الوهاب تسجيل أعماله الموسيقية في شركة «بيضافون»، المملوكة من قبل صديقه إيليا بيضا. هذه الشركة التي ظهرت تقريباً في عام 1906، وانتشرت أسطواناتها في كل مكان، حاملة أصوات أساطين الغناء حينها. لم تكن «بيضافون» الشركة الوحيدة، بل كان هناك منافسون كثر، كشركة «أوديون» التي تفردت فيها أم كلثوم. اشترى عبد الوهاب شركة «بيضافون»، وحوّلها إلى «كايروفون». غيرت هذه الخطوة من تموضع عبد الوهاب في رقعة الساحة الفنية، وجعلته أقرب للمنتج الموسيقي؛ فهو الآن مغنّ، وملحن تتهافت الأصوات على أعماله، وصاحب شركة أسطوانات معروفة، تنشر أعمال أهم فنانين العصر، أمثال فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ، وأم كلثوم أيضاً التي انضمت مضطرةً إلى القائمة، بعد أن أقفلت شركة «أوديون» بسبب الحرب العالمية الثانية.

بذلك، لم يعد عبد الوهاب مجرد ندّ في ميدان الفن، بل بات مطلعاً على الأعمال قبَيل أن تنشر، يرى الواقع الفني بعين أكثر شمولية، كما صار يحدد سعر بيع أسطوانات الفنانين الآخرين، واحتلت أم كلثوم صدارة الأسعار. عند ظهور الإذاعة، كتب عبد الوهاب على الأسطوانات: «ممنوع إذاعة هذه الأسطوانة بالراديو»، محتكراً بذلك حقوق النشر. لاحقاً، وقُبَيل حركة التأميم، باع فرع شركة «كايروفون» في مصر، وحافظ على فرع لبنان، فنجا من خسارات غيره ممن طاولهم التأميم. تعامل عبد الوهاب مع ظهور الإذاعة أيضاً بخصوصية وذكاء، وتنبه إلى معنى البث الذي يَنقل أثيرياً صوت الفنان عابراً مسافات شاسعة. غيّر هذا الواقع خصائص أغانيه، إذ تعمّد تقديم أغنية متنوعة بذاتها، وممتعة وأحياناً راقصة. تجسدت تأثيرات عبد الوهاب في مطربي عصره، الذين لحن لهم؛ فتعامل مع كثيرين، منهم أم كلثوم وفيروز، ولكن عبد الحليم حافظ كان صياغة عبد الوهاب للأغنية الشبابية، إذ نَحتَ عاطفة الجيل الجديد، وحدد شكلاً للأغنية المتداولة، اعتمده الجيل القادم من الملحنين لفترة طويلة.

الجسر

ما هو الجسر الذي نقل الأغنية ما بين جيل الشيخ سلامة حجازي وجيل وليد توفيق؟ سؤال تكمن إجابته في بصمات لمحمد عبد الوهاب، التي يحملها الواقع الفني الذي كنا نعيشه نهايات القرن العشرين؛ القرن الذي خُلطت فيه مقادير الوجبات الموسيقية، لتنضج اليوم على نار الحداثة، في وقت تتسارع وتيرة تطور المنصات، حتى نكاد لا نجد مكاناً لا نكون فيه مجبرين على الاستماع للأصوات الجديدة.

أخبار

أعلنت **أوركسترا قطر الفلهارمونية**، أخيراً، عن عرض موسيقي ستقيمه يوم 28 مايو/أيار الجاري، عند السابعة والنصف مساءً، احتفالاً بـ «اليوم الأوروبي». يتضمن الحفل أعمالاً لـ شتراوس، وبوتشيني، وبيرليوز، وفاغنر.

عند الثامنة من مساء اليوم، تقيم «دار الأوبرا المصرية»، على خشبة مسرح «معهد الموسيقى العربية»، في القاهرة، عرضاً يحمل عنوان **كلثوميات**، تؤدّى فيه مجموعة من أغاني أم كلثوم، مثل «مدام تحب بتنكر ليه» و«أنساك».

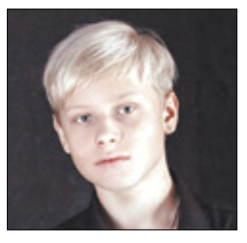

بقيادة المايسترو ألكساندر سلادكوفسكي، تقيم «أوركسترا تاتارستان الوطنية السيمفونية»، على خشبة مسرح «دار الأوبرا السلطانية» في مسقط، عرضاً يقوده على آلة البيانو الشاب **ألكساندر مالوفييف** (الصورة)، وذلك يوم 12 من الشهر الجاري.

تعود الفنانة اللبنانية، **ساندي شمعون** (الصورة)، على خشبة مسرح «مترو المدينة»، في بيروت، يوم 20 من الشهر الجاري، بعرض يحمل عنوان «غابة»، تؤدّي فيه عدداً من أغاني الفنان المصري الراحل، الشيخ إمام.

في الثاني عشر من الشهر الجاري، يطل الفنان المصري، **علي الهلباوي** (الصورة)، على جمهوره، وذلك من خلال حفل يقيمه في «ساقية الصاوي» القاهرية، ليؤدي فيه عدداً من الأغاني، أبرزها «قل للمليحة» و«مرسال لحبيبتي».

Swedish House Mafia
كيف تقفز من خلال المأساة

عمر بقبوق

في منتصف الشهر الماضي، أصدرت فرقة Swedish House Mafia ألبوماً جديداً يحمل عنوان Paradise Again، وهو الإصدار الرسمي الثالث في مسيرة الفرقة، والعمل الأول لها بعد انقطاع دام قرابة 10 أعوام. Swedish House Mafia، التي ذاع صيتها في بداية العقد الماضي، واكتسبت شهرتها العالمية سريعاً، بعدما نجحت في رسم هوية موسيقية خاصة في ألبومي Until One (2010) وUntil Now (2012)، من خلال مزجها موسيقى الهاوس وموسيقى البروغريسيف روك، تعرضت إلى انتكاسة سريعة وتوقفت عجلتها عام 2013، عندما أعلنت تفككها، ولم تتمكن من العودة إلى السكة ذاتها حين التم شملها في عام 2018، لتستغرق عملية إعادة رسم خط الفرقة مجدداً ما يقارب أربعة أعوام. «وقت طويل يستلزم للتعافي، وقت طويل يلزم لمعرفة المكان الذي تجد فيه قلبك، وقتٌ طويل تحتاجه لتكون حقيقياً، الأيام تمر». بهذه الكلمات تفتتح Swedish House Mafia ألبومها الجديد، عبر أغنية Time، التي يرافقها فيها مابي، ليكون المقطع الافتتاحي أشبه بتقديم استعراضي، يبرر الأسباب التي أجّلت هذه الخطوة؛ خطوة إنتاج ألبوم جديد. الأمر تطلب وقتاً طويلاً للتعافي، وإدراك نقاط الشغف التي تجمع أعضاء الفرقة مجدداً، بعد انقطاع طويل، لتبشّر الأغنية الأولى بألبوم مختلف كلياً في الموسيقى والكلمات، فسواءً أحببنا الموسيقى أم لم تعجبنا، فإن الأمر الذي لا يمكن إنكاره أن ما تنتجه Swedish House Mafia مختلف كلياً عن كل ما يُنتج من موسيقى إلكترونية اليوم. الفرادة والتميز

> تزداد الأغاني سوداوية كلما ابتعدت عن السياق العاطفي

وقت طويل يلزم لمعرفة المكان الذي تجد فيه قلبك (جوزيف اوكباكو/ Getty)

اللذان تسعى الفرقة إلى تحقيقهما جاءا من وحي المأساة، ففي الأغنية الثانية Heaven Takes You Home، التي تشارك بها Connie Constance، يرد: «عندما تأخذك الجنة إلى المنزل، أخبرهم كيف تقفز من خلال المأساة، وأظهر لهم كيف يُصنع النضال من خلال السحر». الكلمات توحي بأن الفرقة تحاول أن تتعاطى مع النفق المظلم الذي مرت فيه بروح إيجابية، لتنقّب عن السحر المفقود في ظلمة السنوات الضائعة. السحر الصرف يبدأ بقوالب شعرية أكثر نمطية مع الأغنية التالية، Moth To A Flame، التي تهبط فيها الشعرية، عندما يُعاد استهلاك الكلمات في سياقات عاطفية، ترصد تفاصيل قصة حب افتراضية؛ لكن الموسيقى تصعد إلى مستوى أعلى، عندما يُعاد تدوير الخلل والتشوهات التي بدأت تظهر في المقاطع الأولى، في جمل أكثر وضوحاً واكتمالاً.

تتوالى الأغاني بعد ذلك بسياقات متنافرة، تزداد فيها حدة السوداوية والألم كلما ابتعدت عن سياق الأغنية العاطفية، التي تبدو غطاءً رقيقاً، بالكاد يستطيع التغطية على الجروح الروحية والوجدانية الأكثر عمقاً. وفعلياً، تبدو المقاطع الأكثر جمالية في منتصف الألبوم هي تلك المبنية على شراكات ناجحة مع نجوم الروك والبوب البديل، من أمثال ستينغ و«ذا ويكيند». هذه الأسماء تتمكّن من إضافة لمساتها الخاصة، لتعطي خطوطاً مختلفة وشاذة عن السياق، تُضاف إلى اللوحة الكلية لتزيدها جمالاً.

ومن بعد أغنية Redlight، تتلاشى الكلمات في بعض المقاطع، ليصبح التركيز الأكبر على استعراض الإبداع الموسيقي، في أغانٍ لا تحتوي سوى على كلمات قليلة أو جملة واحدة، مثل: Can you feel it و19:30.

مع اقتراب نهاية ألبوم Paradise Again تأتي أغنية Another Minute، التي يمكن وصفها بأنها مسار Emo مؤلم حول صراعات الوحدة، تتكرر فيها عبارة: «هل يمكننا البقاء دقيقة أخرى؟»، لتعبّر عن الخوف عن التماهي مع حالة العدم بعد النهاية.